الخاتمة

سبق وأن تناولنا عدة مفاهيم تتعلق بمفهوم " الشرق الأوسط " وكيف أنه من أكثر المفاهيم الجيوسياسية تعقيدا واختلافا و لعل أبرز المفاهيم الحديثة لهذا المصطلح والذي عرف جدلا خاصا في الأوساط الأكاديمية وعند صناع القرار خاصة كل من مصطلح "الشرق الأوسط الكبير " و مصطلح "الشرق الأوسط الجديد " ، **هذان المصطلحان اللذان باتا يتداولان و كأنهما مصطلح واحد ، وفي حقيقة الأمر أن الأمر كذلك ، إذ أنهما جاء كنتيجة لتطور وتغير المصالح الغربية بمنطقة "الشرق الأوسط " وبرزا بشكل خاص بعد أحداث 09/11** ، ومن جهة أخرى نجد أن مصطلح " الشرق الأوسط الجديد " ما هو إلا نسخة محدثّة لمصطلح "الشرق الأوسط الكبير " ولا يتعدى التعديل إلا ما يقتضيه تطور الأحداث بالمنطقة و ظهور عدة تغيرات على الساحة الدولية رغم استعماله في كتاب "**لشيمون بيريز**" في 1993 يحمل نفس المصطلح ومن أفكار هذا الكتاب دمج " **إسرائيل** " في منطقة الشرق الأوسط وإقامة علاقات بينها وبين دول المنطقة قائمة على التعاقد المادي وإغفال الجوانب الأخرى على غرار الجانب العقدي وذلك لن يتم إلا بثورة في المفاهيم ولعله نفس الطرح الذي طرحه بعد عقد من ذلك " **دونالد رامسفيلد** " أين ظهر في مصطلح "الشرق الأوسط الكبير " مع أطروحة الحرب على الإرهاب ، و توجه أنظار الدول الغربية نحو قلب العالم الإسلامي والعربي–" الشرق الأوسط "– والذي ضم دولا أخرى تتناسب وهذه الأطروحة الجديدة ، ثم ما لبث العالم الإسلامي أن استقبل أطروحة أكثر غموضا من الأخرى والتي أعلنت عليها " **كونداليزا رايس**" في 2003 في تبني واضح لأطروحة "بيريز" لكن برؤية أمريكية جديدة ، وعموما نستطيع القول أن كلا من مصطلح الشرق الأوسط "الكبير " و "الجديد " عبارة عن نتاج أطروحات أمريكية صهيونية أوروبية ولعل قصب السبق في ذلك للأطروحة " **اليهودية** "– القديمة – و من ثم للإدارة الأمريكية التي كانت قد طرحت مبادئها وتصورها عن شرق أوسط " ديمقراطي" جديد ، يبدأ بإلغاء الخرائط الاستعمارية القديمة التي أنشأها الاستعمار الفرنسي والبريطاني في بداية القرن العشرين لانتفاء الحاجة إليها بسبب المتغيرات القومية والطائفية الجديدة للبلدان المعنية بالتقسيم، وهذا هو المفهوم الحقيقي والشامل لخطة الشرق الأوسط الكبير، الذي هو كبير في ضخامة إعادة تشكيله، وكبير بحكم تضخم حجم التعديلات التي ستدخل عليه. لكنه كبير أيضا بالنظر إلى عدد الدول التي ستنشأ فيه، ولذلك كانت التسمية الجديدة التي أطلقتها رايس خلال العدوان على لبنان: الشرق الأوسط الجديد، وهذا هو الفارق بين "الكبير والجديد". لكننا أمام إشكالية حقيقية هنا، هي ببساطة أن الدول والشعوب والمجتمعات المسلمة والعربية تبدو وفق هذا التصور مجرد " منطقة نفوذ جيوسياسية " ، يقتسمها الآخرون وفق القدرات العسكرية والاقتصادية والسياسية ووفق الاستراتيجيات والخطط والدراسات المبرمجة في مختبرات مراكز

الدراسات الغربية هذه الأخيرة والتي تعمل على تزويد العاملين في الوسط السياسي بتحليلات وأفكار تعتبر كقاعدة أساسية لبناء سياسة جديدة أو تعديل سياسة جديدة وذلك في مختلف مجالات وفروع السياسة العامة بل باتنا نستطيع أن نطلق على هاته المراكز اسم " خزانات بيع الأفكار " ذلك أن صانع القرار يجد العديد من الخيارات التي يفضلها لدى هذه " الخزانات " بالإضافة إلى أن العديد من هاته المراكز توفر ميزة مهمة لصانع القرار و الذي يحتاج لدراسات دقيقة وشاملة حول مناطق معينة وهي الميزة التي تقدمها مراكز الدراسات وخاصة الكبرى ولعل من أكثر المناطق التي نالت إهتماما كبيرا من طرف مراكز الدراسات منطقة العالم الإسلامي وبالضبط المنطقة التي يصطلح عليها غربيا بمنطقة " الشرق الأوسط " والتي عرفت هذا الإهتمام منذ نشأت البعثات والمراكز الإستشراقية والتي تمثل الشكل الأول لمراكز دراسات " الشرق الأوسط " هاته الأخيرة ساهمت وبشكل فعال في بلورة العديد من أطروحات تغير الأوضاع في الشرق الأوسط وتكون هاته الأطروحات إما كمشروع دراسي مشترك يتبنى رسميا من طرف أحد مراكز الدراسات أو على شكل مقترح يقدم لحكومة معينة أو يتبناه أحد منتسبي هاته المراكز ، ولعل الدراسات التي تناولت " الشرق الأوسط " بالدراسة و التحليل حملت مشاريع متباينة العناوين على غرار "مشاريع الإصلاح " أو " مبادرات التعاون " أو " نشر العدل والحكم الراشد " لكنها في حقيقة الأمر لا تخدم إلا أصحابها ، فهي إذن أطروحات متعددة الأشكال لكنها ذات جوهر واحد و أبرز المستفيدين من هذا المشروع هو الولايات المتحدة الأمريكية وهي صاحبة السبق في ذلك بالإضافة إلى الإتحاد الأوروبي والذي اندمج في هو كذالك في منظومة الصراع على المصالح في الشرق الأوسط تحت إطار عدة مبادرات على غرار " مبادرة الدول الثماني " " المبادرة الأورومتوسطية " وبل حتى ضمن التحالفات العسكرية والتي تشهدها المنطقة منذ بداية "الثورات العربية " ولعل المستفيد الأكبر من كل هاته الأطروحات "الكيان الصهيوني " وهو صاحب أقدم أطروحات تقسيم المنطقة منذ "هرتزل " ، كل هذا شكل مشروعا كبيرا يسعى للتغير الجذري في العديد من المجالات في المنطقة ولعل أبرزها وهو – (رأس الجبل الجليدي الظاهر فوق السطح فقط) – التغيير الجيوسياسي للمنطقة و آخره العبث بالمناهج الدراسية ، ورغم اختلاف الدول المنضوية تحت هذا المشروع إلا أنها تكاد تتفق على النقاط التالية وهي : ضمان أمن الكيان الصهيوني – ضرورة إجراء تغيير عميق على المستوى الجيوسياسي لضمان السيطرة الإقتصادية والسياسية و الأيديولوجية على المنطقة – الترويج لفكرة التشتت الإثني الموجود في المنطقة كل هذا مع وجود تبادل كبير للخبرات والمعلومات بين مراكز دراسات كل من المنطقتين الأمر الذي يفسر وجود تنسيق على أعلى مستويات البلدان ضمن " مشروع الشرق الأوسط الجديد

" والذي لعبت خلاله مراكز الدراسات "لعبة الظل" أين كانت منذ بداية المشروع ولازالت تمده بالخبراء والدارسات وذلك في شتى المجالات ولا أدل على ذلك " دراسة راند " التي تسعى لتكوين " دعاة على المقاس الحداثي " أو المبادرة الأوروبية للديموقراطية الداعمة للحراك المجتمعي أو مركز " ميمري " لدراسة إعلام الشرق الأوسط ،الأمر الذي يجعل من هاته المراكز كفاعل دولي جديد ، ولكن ماهي الأسباب التي جعلت من هذه المنطقة من العالم الإسلامي تكون كلقمة سائغة وكهدف إستراتيجي لمراكز الدراسات و من خلفها الدول الغربية الكبرى ، ولعل أبرز هاته الأسباب مايلي :

– عدم الوعي التام من طرف الدول الإسلامية والعربية خاصة شعوبا وحكومات بأن من يخطط ضدك لا يمكنه أن يتعاون معك إلا بما يخدمه .

– عدم وجود مراكز دراسات منافسة لمراكز الدراسات الغربية وذلك في كافة المجالات التي تنهض بالأمة من جهة وتحقق لها الإكتفاء الفكري حتى لا تستعين الدول المسلمة بفروع لمراكز دراسات غربية كما هو الحال في العديد من بلدان العالم الإسلامي و العربي .

– عدم وجود آليات مواجه جادة للأطروحات التقسيمية وإن وجدت فتعتبر محتشمة ولا ترقى لهذا التحدي الذي يستهدف البنى القاعدية في شتى المجالات والأمر لا يتعلق بالدول العربية أو التي تقع ضمن ما يسمى بـ "الشرق الأوسط " بل يتعدى إلى باقي الدول الإسلامية الأخرى ، وما تيمور الشرقية أو " إقليم أركان المسلم " ببورما – و المتواطئ ضده دوليا – عنا ببعيد .

– عدم وجود رعاية رسمية كافية – أو تكاد تعدم – لمراكز الدراسات الجادة والتي تسعى لنشر قيم الرشادة

– عدم وجود خطط – جادة – للرعاية الرسمية أو لإنشاء مراكز دراسات إستراتيجية فعالة تستند على حماية متينة للدولة بغية القيام بأبحاث ودراسات إستراتيجية و دقيقة حول توجهات مختلف الفواعل الدولية تكون بمثابة مشاريع مضادة لمراكز الدراسات الغربية إذ أن حرب الأفكار تعتبر من أقدم الحروب عبر التاريخ .

ختاما يمكننا القول أن مراكز الدراسات الغربية ساهمت ولازالت تساهم في بلورة "مشروع الشرق الأوسط الجديد " ولعل أبرز الأسباب الرئيسية التي جعلت من هذه الأمة كهدف لهذا المشروع وما تبعه من نكبات عليها ، هو بعدنا عن قيمنا الحضارية و مرتكزاتنا ومشاريعنا الذاتية و مصادر أسلوب حياتنا .

وصدق الإمام مالك إمام

دار الهجرة – رحمه الله – إذ يقول :

(.. لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ..)